

٧. جهاد النفس



اعلم يا بني ويا بنيتي أن نفسك من أعدائك. ولشدة قربها منك، ولأنها أكثر من ينتفع منك، كانت أشد أعدائك، وأكثر من يوردك المهالك. ولهذا يا بني كان من أعظم أعمال المسلم، وأكثر ما يرجو نفعه وخيره، هو محاربة نفسه، ومخالفة هواها. كل ذلك على الدوام، بلا تخاذل ولا هوادة.

وقد جعل الله تعالى هذا العمل سبباً من أسباب الفلاح والنجاة، والفوز بالجنة في دار المقامة قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۗ﴾ [النازعات ٤٠، ٤١].

وعليك أن تعلم أن النفس دون تهذيبها ومراقبتها، وكبح جماحها، وإلزامها ما أمر الله تعالى به هي نفس فاسدة مفسدة، لا تأمر صاحبها إلا بسوء، ولا تورده إلا المهالك. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

وقد ذكر ابن الجوزي في مواعظه معنًا رائعًا، فلتتدبره ولتعمل به، وهذا بعض ما ذكره "أيها العبد: حاسب نفسك في خلوتك، وتفكر في انقراض مدتك، واعمل في زمان فراغك لوقت شدتك، وتدبر قبل الفعل ما يُملئ في صحيفتك، وانظر: هل نفسك معك أو عليك في مجاهدتك.

لقد سعد من حاسبها.

نصيحة

وفاز والله من حاربها.

وقام باستيفاء الحقوق منها وطالبها.

وكلما ونت عاتبها، وكلما تواقفت جذبها.

وكلما نظرت في آمال هواها غلبها.

فَعَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْكَيْسُ مَن دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَن أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ثُمَّ تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ". (١)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وطالبوا بالصدق في الأعمال قبل أن تطالبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا، وتزينوا للعرض الأكبر: "يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ".

وقال الحسن البصري رحمه الله: "أيسر الناس حسابًا يوم القيامة الذين حاسبوا أنفسهم لله عز وجل في الدنيا، فوقفوا عند همومهم وأعمالهم، فإن كان الدين لله هموا بالله، وإن كان عليهم أمسكوا. وإنما يثقل الحساب على الذين أهملوا الأمور، فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذر فقالوا: ﴿يَوْتِلْنَا مَالٍ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقال أبو بكر البخاري: من نفر عن الناس قل أصدقاؤه، ومن نفر عن ذنوبه طال بكاؤه، ومن نفر عن مطعمه طال جوعه وعناؤه.

ونقل توبة بن المعلم أنه نظر يوماً وكان محاسباً لنفسه، فإذا هو ابن ستين

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم في مستدركه عن شداد بن أوس .

نصيحة

إلا عامًا، فحسبها أيامًا، فإذا هي إحدى وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال: يا ويلتى ألقى المليك بإحدى وعشرين ألف ذنب وخمسمائة ذنب، فكيف ولى في كل يوم عشرون ألف ذنب؟ ثم خر مغشيًا عليه فإذا هو ميت، فسمعوا هاتفاً يقول: يا لها من ركضة إلى الفردوس الأعلى.

إخواني: المؤمن مع نفسه لا يتوانى عن مجاهدتها، وإنما يسعى في سعادتها، فاحترز عليها واغتتم لها منها، فإنها إن علمت منك الجذ جدت، وإن رأتك مائلاً عنها صدت، وإن حثها الجذ بلحاق الصالحين سعت وقفت، وإن توانى في حقها قليلاً وقفت، وإن طالبها بالجذ لم تلبث أن صفت وأنصفت، وإن مال عن العزم أماتها، وإن التفت عريدت، من صبر على حر المجلس خرج إلى روح السعة، من رأى التناهي في المبادي سلم، ومن رأى التناهي هلك، لأن مشاهدة التناهي تقصير أمله، ومشاهدة المبادي في التناهي تسوف عمله.

وفي الجملة: من راقب العواقب سلم. يا هذا: هلال الهدى لا يظهر في غيم الشبع، ولكن يبدو في صحو الجوع وترك الطمع، واحذر أن تميل إلى حب الدنيا فتقع، ولا تكن من الذي قال: سمعت وما سمع، ولا ممن سوف يومه بغده فمات ولا رجع. كلا ليندمن على تفريطه وما صنع، وليسألن عن تقصيره في عمله وما ضيع، فيا لها من حسرة وندامة وغصة تجرع، عند قراءة كتابه وما رأى فيه وما جمع، فبكى بكاء شديداً فما نفع، وبقي محزوناً لما رأى من نور المؤمن يسعى بين يديه وقد سمع، فلا ينفعه الحزن ولا الزفير ولا البكاء ولا الجزع".^(١)

(١) ابن الجوزي / مواظب ابن الجوزي / الإنترنت موقع روح الإسلام.

من فوائد مجاهدة النفس...

- ١- إخضاع النفس والهوى لطاعة الله عز وجل.
- ٢- إبعادها عن الشهوات وصد القلب عن التمني والتشهي.
- ٣- تعود الصبر عند الشدائد على الطاعات وعن المعاصي.
- ٤- طريق قويم يوصل إلى رضوان الله تعالى والجنة.
- ٥- قمع للشيطان ووساوسه.
- ٦- نهي النفس عن الهوى فيه خير الدنيا والآخرة.
- ٧- من جاهد نفسه وأدبها سما بين أقرانه وفي مجتمعه.
- ٨- سوء الظن بالنفس يعين على محاسبتها وتأديبها.
- ٩- من يجاهد نفسه يمتلك ناصية الخير، ويصبح حسن الأخلاق.
- ١٠- تُحقق إنكار الذات، وتُصفي الجماعة من الأثرة الضارة بالجماعة والمجتمع".^(١)

